صحافيو العالم المغاربة

طوينا »ذاكرة الصحافة المغربية» التي ستصدر في كتاب، لنحلق بعيدا في رحاب نفس القطاع، ولكن مع الاختلاف في كون السفر الأول كان في الزمان، رجوعا إلى ماضي المؤسسين، وهذا السفر الثاني هو سفر في المكان بحثا عن بروفايلات ومسارات الصحافيين المغاربة العاملين بالخارج. هم كثر يعدون بالمئات، متألقون، حيث يشتغلون في القارات الأربع وفي أكبر المؤسسات الإعلامية عبر العالم، منهم المدير والمسؤول ورئيس التحرير وكبير المراسلين، ومنهم المحرر والمراسل الحربي والمحلل، لهم حكايات وقصص ومغامرات تستحق أن تروى لتكون شاهدا على أن السؤال الذي نطرحه هنا يبقى مشروعاً: لماذا توجد أنفس الكفاءات الصحافية في الخارج والإعلام هنا في الوطن يئن؟ الجواب في ثنايا هذه الشهادات لكتاب التاريخ اليومي بأقلام سفراء المملكة الشريفة.

سعيد بلفقير المنتج في قنوات الدوري والكأس

ضاقت في "دوزيم" فكانت أرض الخليج واسعة

سعيد بلفقير انضاف قبل 10 أشهر فقط إلى قبيلة صحافيي العالم المغاربة. التحق بالخليج العربي ليكمل مسيرة بدأت من القاع في "الزيرو كاط04" لتصل إلى شاشة "دوزيم". هي حكاية ابن شعب بطموح جامح استطاع النجاح، وفي مسيرته دروس وعبر عن الإعلام المغربي عموما والإعلام العمومي على وجه خاص، هذه خطوطها العريضة بلسان صاحبها.

» حاوره: مصطفى منصور
mansour.most@gmail.com

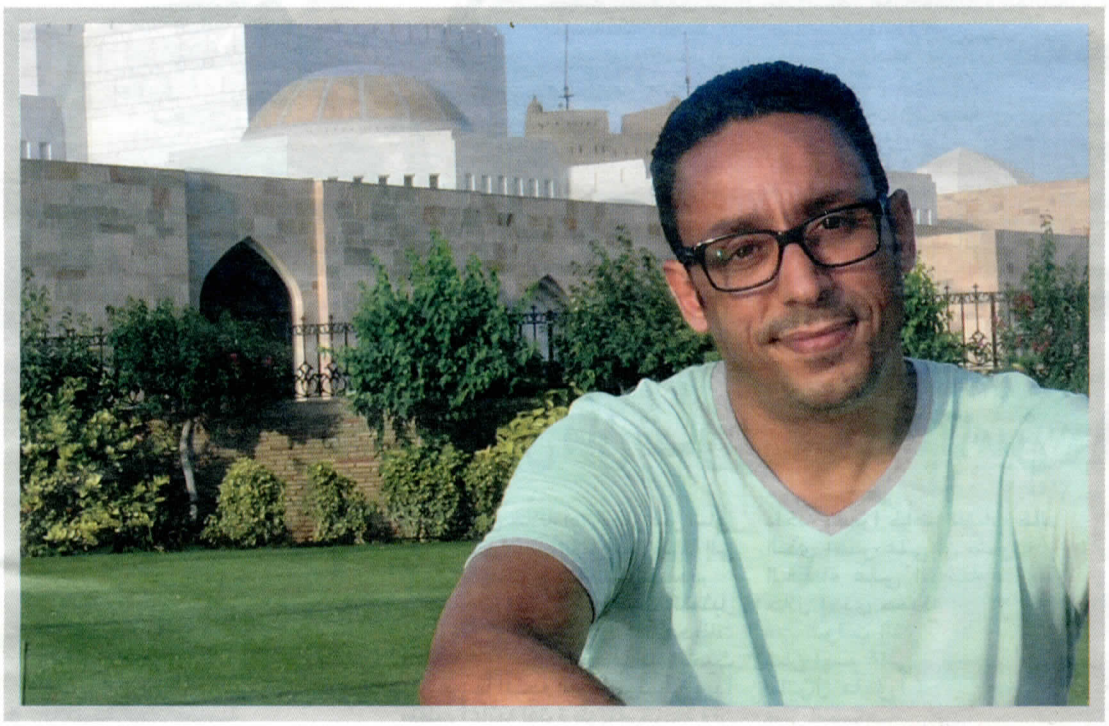

سعيد بلفقير

بعد أن رأيت النور في الرباط ويحكم عمل الوالد ضمن القوات المساعدة تنقل بين عدد من المناطق إلى أن استقر به المقام في الدارالبيضاء، حيث ظهر ولعك بالثقافة والأدب الذي تحول إلى حب للصحافة، كيف تتذكر هذه المرحلة؟

■ **الولع بالثقافة والأدب كان قدرا حتميا لأن حرص الوالدين كان كبيرا في مجال التحصيل العلمي والأكاديمي لدرجة أن رتبة ثانية قد لا تروقهما، بالنسبة لي فعلاقتي بالكتب هي التي غذت هذا الشغف بالأدب والفن والكتابة، فقد وجدتني منذ الصبا عاشقا للكتب أقرأ بنهم كبير.. ولدت في العاصمة الرباط لكن الدار البيضاء كانت منشئي وهي المدينة البلد التي لا تحدها الجغرافيا وتستعصي على التصنيف، هي مغرب صغير به كل الأجناس وبه كل تناقضات الكون الصارخة.**

بها مارست شغب الطفولة وبها أدركت أن العلم لا تحده جدران الفصول الدراسية بل يلغيها ويمتد لساحات "الحلقة" بسوق "شطيبة" بفضاء اسمه "04"، هذا الجزء القصي من العاصمة الاقتصادية العصي على غير أبناء الشعب كان مدرسة كبيرة فيها تتداخل كل الفروع والتخصصات، 04 أو كما تنطق بفرنسيتنا "زيرو كاط" كانت في مرحلة ما تصنيفا قدحيا، فعندما تنعت بابن 04 فهذا يعني أننا لا ننتظر منك سوى الشغب والمشاكسة، وتناسى "علبة القوم" أو من يظنون أنفسهم كذلك أن الوطن يكون بلا معنى دون الفقراء، فدماؤنا هي فقط التي تصلح للفداء في وقت الشدة وهي فقط التي تصلح للاستنزاف إن حل الغلاء.

كنت ناشطا جمعويا في العاصمة الاقتصادية، وعرف عنك المقربون شغفك بالفنون التشكيلية والكاريكاتور قبل أن تنظم أول معرض للكاريكاتور في عمر 16 سنة وبعدها نشرت عددا من رسومك في جرائد مغربية، هل لك أن تحكي لنا عن هذه الفترة؟

■ **كأطفال وشباب تلك الحقبة لم تكن لنا فضاءات خاصة وكثيرة نقضي بها أوقات فراغنا أو أيام عطلنا الأسبوعية، وحدها دور الشباب كانت تلعب هذا الدور وتملأ حيزا كبيرا من حياتنا. دور الشباب كانت فضاءات رياضية وتربوية وفنية وثقافية في الآن ذاته، بل إن الأحزاب السياسية كانت تتخذها مشاتل لأجيالها المقبلة، ورغم ذلك كانت دور الشباب فضاء ممتعا بالنسبة لي، فبفضلها اكتشفت ومارست المسرح، ومن خلالها اكتشفت موهبة الرسم وبها تعرفت على عوالم أخرى ما كانت لتتاح لي معرفتها لولا دور الشباب والأندية والجمعيات.**

كنت في سن السادسة عشرة تقريبا عندما عرضت رسوماتي الكاريكاتورية في إطار أسبوع ثقافي لجمعية منتدى الشروق بالمركب الثقافي الذي يعرف اليوم بكمال الزبدي بمنطقة سيدي عثمان، كان أمرا رائعا لا ينسى خصوصا عندما ترى أناسا يتساءلون عن هوية الرسام فيفاجؤون لصغر سني لأن الكاريكاتور فن تمتزج فيه السياسة بالسخرية الهادفة وبث الرسائل، فيمطرونني بوابل من الأسئلة فأتقمص دور فنان كبير وأنا أحاول شرح رسوماتي. بعدها نشرت عددا من أعمال تلك الفترة ببعض الصحف بلا مقابل طبعا، فسني لم يكن ليجعل مني فنانا يستحق الأجر، والغريب في الأمر أنني وإلى اليوم لم أعمل بشكل رسمي في مجال الكاريكاتور، هي فقط بعض المعارض رفقة بعض الزملاء إرضاء لرغبة دفينة في التعبير لا غير.

في الفترة ذاتها التقطت عدوى المسرح الذي أحببته وعشقته، ومن بين الذكريات الراسخة عن حكايتي مع أبي الفنون عملي في مرحلة لاحقة عندما كنت طالبا جامعيا مع فرقة مسرح الشعب كمصمم ديكور بمعية فنانين من المشاهير مثل ميلود الحبشي ومصطفى الداسوكين ومصطفى هنيني وكريمة وساط في أول تجربة مسرحية لها، وقبل ذلك عملت مع ميلود الحبشي في مسرحية كان بطلها الفنان المصري الراحل وحيد سيف، كما عملت في مجال الدعاية ضمن الفرقة ذاتها.

بعد حصولك على الباكالوريا ستدرس القانون بكلية الحقوق، لماذا غيرت مسار الحلم من صاحبة الجلالة إلى دراسة المساطر والفصول؟

■ **تغيير المسار كان إجباريا، فبعد حصولي على الباكلوريا وبسبب غياب التأطير والتوجيه وجدت نفسي مضطرا لدراسة الحقوق مثل كثير من أصدقائي ورفاق الدراسة آنذاك، فالجامعة كانت ملجأ لمن ليست له معدلات قياسية تؤهله للالتحاق بمعاهد وطنية من بينها المعهد العالي للإعلام والاتصال بالرباط، وأيضا ملاذا لمن ليست له إمكانات مادية للالتحاق بمعاهد خاصة "مصنفة". ومع ذلك فالفترة التي قضيتها في جامعة الحسن الثاني "طريق الجديدة" كانت مدرسة إنسانية بامتياز، حيث لم يعلق بذهني من المساطر والفصول شيء بينما أدركت من أمور الحياة أشياء كثيرة، فخلال أربع سنوات أدمنت "الأوطوسطوب" وأدمنت وجبات المطعم الجامعي، فهي أشبه بمخدرات بمفعول قوي، وتعرفت على ثقافات كثيرة في فضاء يجمع الغني والفقير، المريض والسوي، ابن البلد والأجنبي، فيه نحن أبناء الشعب وهناك أيضا الآخرون، نحن بأحلامنا التي لا يحدها العبث المسيطر في تلك الفترة منتصف التسعينيات، والآخرون بواجهات لامعة تثير بدواخلنا حقدا كنا نراه مبررا ننسج منه النكت والطرائف، كنا نصطف على حواف الطريق السيار ننتظر عابرا برق لحالنا فيقلنا معه، وعندما يتحقق الأمر ترتسم تلك الابتسامة وكأننا حققنا نصرا تاريخيا بوصولنا للجامعة في وقت قياسي، لأن الأمر في الواقع كان يتطلب كثيرا من الوقت ورحلة عبر حافلتين من منطقة "الزيرو كاط" إلى جامعة الحسن الثاني، تطالعنا الوفود القادمة إلى الحرم الجامعي.. حافلات مصطفة، سيارات فارهة وأخرى أكل عليها الدهر ولم يتسن له أن يشرب لآباء يناضلون ويلعبون دور السائق الخاص لأبنائهم.**

ندخل المدرج وننتظر الأستاذ الأنيق والوسيم، أو هكذا كنا نراه، يدخل من بابه الخاص حليق الذقن يخفي كثيرا من الاشمئزاز خلف نظاراته، يكاد عطره يلفحنا، وفي الصفوف الأولى بنات بكامل زينتهن وناقص ثيابهن وبعض الشباب الذين كنا نمقت إصرارهم على الجلوس هناك.. في الصفوف الخلفية جيش من حزب "نحن" نتابع باهتمام ما يدور في الصفوف الأمامية أكثر مما يلقي الأستاذ المحاضر، إجمالا كانت تجربة إنسانية غنية.

لماذا تخليت بعد ذلك عن إتمام دراساتك القانونية، هل عدت لبداية مسار دراسي جديد؟

■ **في وقت من الأوقات ولظروف عائلية قطعت علاقتي بالحقوق لإيماني الراسخ أنني لا يمكن أن أصير محاميا أو قاضيا أو مستشارا قانونيا أو أيا من الوظائف المتعلقة بهذا المجال، هنا بسطت أمامي كل أحلامي الصغيرة فقررت أن أصير صحافيا، وكذلك كان، القرار لم يكن بالأمر اليسير، فبمساعدة الأسرة دخلت التجربة ومضيت فيها لأبعد مدى تدركه قدراتي وإمكاناتي، فالكتابة كانت زادي منذ سنوات الدراسة الأولى، والشغف رافقني منذ انبهاري بعالم التلفزيون والتنشيط، كان عادة مارستها كثيرا في دار الشباب.**

بعد التخرج من معهد خاص للصحافة بالدار البيضاء، لم تحقق الحلم الذي راودك بالالتحاق بالإذاعة أو التلفزيون، وكنت مضطرا للاشتغال في الصحافة المكتوبة، كيف وجدت هذه الأخيرة قبل أن تعود للعمل السمعي البصري؟

■ **لحسن حظي أن الصحافة المكتوبة كانت بيتي الأول في رحاب صاحبة الجلالة، لأنني أدركت بعد سنوات أنها المدرسة الأولى والأساس المتين لكل مسار مهني، عملت بصحيفة "المستقل" التي انتقلت من إصدارها الأسبوعي لليومي، وحظيت بشرف العمل مع ثلة من الصحافيين أمثال الدكتور منصف اليازغي، كانت المحطة الرسمية الأولى، حيث قبلها عملت متعاونا مع جريدة "الاتحاد الاشتراكي" مكلفا بإعداد ملحق للأطفال.**

كنت أتقاضى ألف درهم كراتب شهري لكن التجربة التي راكمتها لا تقدر بمال، ففي وقت قياسي خبرت المجال وأنجزت الكثير من الأعمال، من بينها "سيرة الألم والأمل"، وهي حلقات رمضانية من سيرة المرأة الأولى في الظاهرة الغيوانية سكينة الصفدي، عضو مجموعة جيل جيلالة، عمل أفتخر به كثيرا لأنه يؤرخ للبدايات وتضمن حقائق وحكايات لم ترو من قبل.

سعيد بلفقير في استوديو القناة الثانية

بعدها بثلاثة أشهر تركت الجريدة مجبرا بعد الاستغناء عن خدماتي لأسباب وحدهم أصحاب الجريدة يعلمونها، لكنني انتقلت للأفضل في مساري، وهو العمل مع الأستاذ طلحة جبريل بيومية "الجمهور"، وهي مرحلة اختزلت تجارب ومشاعر كثيرة جدا.

← ماذا تتذكر عن هذه الفترة؟

■ في بداياتي كانت اهتماماتي كلها أدبية فنية وثقافية، لكن مع طلحة جبريل تغير كل شيء، بدأت معه بقسم التحقيقات السياسية، وهو الأمر الذي لم يداعب يوما تفكيري، وبشهادته نجحت بشكل كبير. كان فريق العمل في مجمله شابا، وهذه ميزة لا يحظى بها غير طلحة جبريل الذي يراهن كثيرا على الشباب، عملنا بجد وعشقنا العمل الميداني.

الصحيفة اتخذت موقعها تدريجيا حتى وصلت إلى مستوى من النضج في وقت قصير، لكن التجربة لم تطل بسبب اختلاف وجهات النظر بين طلحة جبريل كرئيس تحرير وملاك الجريدة.. تم التخلي عن الأستاذ طلحة جبريل فدخلت عناصر جديدة للصحيفة حطها المسؤولون من عل، طلب منا الخروج من الباب الضيق لكننا طالبنا بمستحقاتنا، اعتصمنا أسبوعا في مقر الصحيفة، كانوا يرون الأمر باعتباره احتلال ملك الغير، وكنا نراه بمثابة عطلة سنوية أعدنا خلالها اكتشاف بعضنا البعض، وقد ساندنا بعض الزملاء وحضروا سهراتنا الثقافية التي انتهت بتوصلنا بمطالبنا.

← كنت تهتم بالأدب والفنون أكثر من اهتمامك بباقي المجالات، ما قصة بداية علاقتك مع الصحافة الرياضية رغم أن البدايات الصحافية كانت بعيدة عن هذه الاهتمامات؟

■ في فترة لاحقة غير طلحة جبريل دفة مركبي صوب الرياضة مقترحا علي توظيف زادي الذي راكمته في التحقيقات السياسية ولغتي في المجال الرياضي، وبعد شهرين نظمت الرابطة المغربية للصحافيين الرياضيين جائزة أفضل مقال في المجال الرياضي، وتحت إلحاح زميلي حسن بامو شاركت، حتى إن حسن هو الذي اختار المقال وكان عبارة عن حوار مع الحكم الراحل سعيد بلقولة، وهو آخر حوار للمرحوم قبل وفاته.

أعلنت النتائج في حفل بأحد الفنادق المصنفة بالدار البيضاء وكنت الفائز، هي فرحة لا توصف، تلقيت التهاني من الزملاء وبعضهم نشرها على صفحات الجرائد التي يعملون بها، وهنا انتهت الحكاية لأني لم أر ولم أتوصل أبدا بتلك الجائزة، وكان ذلك عام 2002. مرت الأيام وطويت تلك الصفحة لأن الجائزة لا تصنع الصحافي، كنت فقط أرغب في تفسير لم يصلني إلى يومنا هذا.

بعد تجربة "الجمهور" الرائعة، والتي انتهت على أيادي قوم سامحهم الله، عدت أدراجي للدار البيضاء وشهدت ميلاد عنوان آخر خرج من قلب صحيفة "الأيام"، وكان "الأيام الرياضية" رفقة الزميل أحمد امشكح، وفي الوقت ذاته كنت مراسلا لصحيفتين من الكويت هما "السياسة" و"الهدف".

انتهت التجربة بعد بضعة أشهر عندما أتيحت لي فرصة دخول عالم التلفزيون من خلال القسم الرياضي للقناة الثانية، وهنا بدأت حكاية أخرى.

← بعد تجربة في الصحافة المكتوبة ستعود إلى القناة الثانية وبالضبط بالقسم الرياضي الذي يقدم منتوجا مختلفا عن باقي القنوات المغربية، باشتغالك في بناية عين السبع هل حققت الحلم بعد طول انتظار؟

■ بكل صدق أقولها، العمل بالقناة الثانية كان حلما، وقد تحقق لي، وكنت سعيدا جدا عندما تلقيت اتصالا من الزميلين مصطفى طلال وحسن فاتح يقترحان علي فيه فترة تدريبية قبل الاندماج الفعلي، وكذلك كان. دخلت التجربة وبذلت قصارى جهدي لكي أكون في مستوى الثقة التي منحها لي الزملاء في القسم الرياضي للقناة الثانية.

← لن يدوم مقامك في القسم الرياضي طويلا لتتحول إلى قسم البرامج، حيث ستقدم واحدا من أشهر البرامج، وهو "أبواب المدينة"، وبعده برنامج "العالم قرية" الذي لم يكتب له النجاح، لماذا تأرجح العمل في هذا القسم بين التميز وعدم التوفق؟

■ برنامج "أبواب المدينة" جعلني أرفض عرضا لقناة "الجزيرة" ساعتها إضافة لعوامل أخرى. الأستاذ مصطفى بنعلي مدير القناة في تلك الفترة اقترح اسمي لتقديم البرنامج، وكانت تجربتي الأولى أمام الكاميرا، البرنامج كان وسيظل استثناء في المشهد الإعلامي، ليس لأنني كنت أقدمه لكن للمجهود الجبار الذي بذل من أجل تقديمه بذلك الشكل إعدادا وتصويرا وتوضيبا وإخراجا وإنتاجا، ولا أستثني أحدا من أفراد الطاقم الذي كان يعمل بشكل جنوني لكن المتعة كانت تلغي التعب والإرهاق. حقا كنت محظوظا بتقديم برنامج كهذا، بالنسبة لي كان نجاحا كبيرا لأنه أدخلني بيوت المغاربة الذين مازالوا ينادونني باسم البرنامج إلى يومنا هذا.

بعد "أبواب المدينة" وضعت تصورا لبرنامج جديد يتعلق هذه المرة بالقرية "العالم قرية"، تم تقزيم مدة البرنامج في مرحلة أولى وبعد ذلك تمت برمجته في وقت ميت، ومع رحيل بن علي ومجيء المدير الجديد طار البرنامج من خريطة البرامج دون تبرير، واتضح أن مزيدا من مدن الثقافة ستسقط من خريطة برامج تعتمد فرجة لم تحدد معاييرها ولم أفهمها شخصيا، عندها أدركت أنني ألعب في غير ملعبي فعدت أدراجي إلى عالم الرياضة رفقة زملاء الأمس والبدايات الأولى، وقدمت الموجز الرياضي اليومي وتمكنت من الفوز بجائزة تزين رفوفي الآن كأفضل منشط برامج رياضية.

← بعد عودتك للقسم الرياضي مرة ثانية بالقناة الثانية، ستحلق بعيدا من الدار البيضاء إلى العاصمة القطرية الدوحة، ما هي دواعي الرحيل؟

■ عندما يضيق المجال يتذكر المرء أن أرض الله واسعة، فكيف بقناة كان لها الفضل على الرياضة الوطنية حتى قبل دخولي عالم الصحافة تتقلص فيها مساحة الرياضة وتحاصر فيها الكفاءات وتختزل في موجز يومي ومباراة كل أسبوع، شعرت بأنني لم أبرح مكاني ولا أقدم شيئا لا للقناة ولا للقسم الرياضي ففضلت الرحيل، تلقيت عرضا من قنوات الدوري والكأس لأعمل كمنتج برامج فقبلت وناقشت الأمر مع مديرة الأخبار سميرة سيطايل التي تفهمت وضعي ولم تعترض على المبدأ ما دمت مقتنعا، فسافرت باحثا عن أفق جديد وتجربة قد تغني مساري، ومع ذلك القناة الثانية بيتي وستظل كذلك.

← ما هو تقييمك للعمل في قنوات الدوري والكأس القطرية؟

■ أنا هنا منذ عشرة أشهر، ربما ليس وقتا كافيا لتقييم التجربة لكن بصدق أتيحت لي الفرصة هنا لألامس واقعا مهنيا مختلفا بإمكانات أفضل وببطولات أكبر حجما وقيمة، بحكم أن قطر أصبحت اليوم عاصمة المونديالات.

← بعين الصحافي المغترب، كيف ترى الإعلام المغربي؟

■ هنا يجب أن نميز بين الإعلام المغربي والإعلاميين المغاربة، وأبدأ بزملاء مهنة المتاعب للتأكيد على ارتفاع قيمتهم في بورصة الإعلاميين، فهم حقا مميزون سواء أولئك الذين يمارسون بالوطن أو المغتربون.

أما إعلامنا المرتبط بسياسات المسؤولين ورؤيتهم لإعلام يشبههم ولا يشبه المواطن، فلا يسعني إلا أن أقول إن السيل قد بلغ الزبى وكم التفاهات في زيادة وصناعة النجوم من الوهم أضحى تخصص منابرنا بشتى تلاوينها. الخوف كل الخوف أن يدمن المشاهد المغربي الرداءة التي تعرض عليه، عند ذلك سنقول على الدنيا السلام، لأن دور التلفزيون لدى الأمم التي تحترم نفسها هو التربية والتثقيف ثم الترفيه، والمثل الشعبي يقول "الخيل مربوطة والحمير كتبورد".

بلفقير في إحدى حلقات "أبواب المدينة" يستضيف أحمد رويشة

سعيد بلفقير في حفل تكريم اللاعب الدولي عزيز بودربالة